حكايا القدس

1- حكايا القدس

ولزمت ما بين المناكب ترقبين، ألفيةَ السِّفرِ المقفَّى من (فاء) خفَّاقٍ ف (نون)، على وجهٍ تُرتِّله المدينة...بحدرٍ؛ إصحاحُ المتون. وتُسبل أهداب المآقي خفرًا على قلبي رحيما، وأنا على أكناف الرضاء أدافعها اللحون، فأغالب الهنَّات بالوجد المبين. وجهي والمكان وكلُّ قوَّامٍ أمين، يعالجون ألواءَ الوصول إلى مرابعك الفتية، وسابلةُ الزمان الأقدمون، لتحط عيناك على سفري أنا، وحدي أنا وعن سواي تعرضين، مجبولةٌ بأوردتي منذ زامورٍ ف (ناس)، وعلى جنح الملائك تتواردين، يا شهقةَ النساك يا ترنيمة مخبتٍ ما أحيلاك: على بسط الرغائب ترقبين!

2- حكايا القدس:

يُقال

والعلمُ عند الله

أنَّ هناك مسجدًا

في بلادٍ

أظنُّها الشآم

لا أدري بالضبط

أهي في الغرب

أو في الشرق

لا أدري بالتحديد

ما علينا

المهم..

والمسجدُ تؤمُّه نساء

يصطففن حولَ سورٍ
يقالُ له براك
أو لعلَّه براق!
تباً للذاكرة
تخونني
في أحلك الظروف
ما علينا
المهم..
ويُقال
أنَّ تلكم النسوة
يشبهن أمَّهاتنا
وبناتنا
يُشبهنهُن
وعليهنَّ ما عليهِن
كنَّ يؤدين الصلاة
ومُنِعْنَها
فوجدن في الساحات
مُتَّسعًا
حتى إذا ما مددن السواعد
وجعلن مع السور
سورا
وضربن الرصاص المصهورَ
بصدورهن
يُقال
بأنَّ جارًا هناك
أصابه الهلع

ولهذا جمعتكم

من كلِّ وادٍ

حولي هنا

فكيف يا رعاكم

تسكتون!!

كيف يا نشامى

عن فعلةٍ شنعاءَ تصمتون!!

بل كيف تسمحون

يا أشاوس

يا حماةَ الدار

وكلُّ النَّخوات فيكم

لهاته النسوة

أن تُصيبَ جارًا لكم

ابنَ عمٍّ لكم

بالهلع!!

قولوا بحقِّ الله

كيف تسمحون...!

3- حكايا القدس:

وصلُ الحبيبِ تخالُه الأرواح، لبُّ الحياةِ وروحُها والراح، وأنا بباب جلالكم مستمطرٌ، غوثَ السماء معارجٌ تتداح، ووجدتكم فوجدتني وتعاظمت في عين نفسي آيُكم وصِحاح، فإن اعترتني بعضُ أنواء الورى، قلتُ الهوى وحقيقُه فضَّاح، زادُ الوصال مدامعي ومجامعي، ووجيبُ قلبٍ يعتليه نواح، أن كان ما قد كان عالجه الفتى، أرسى النوالَ وأجرُه لوَّاح، يا ويحَ بينٍ يعتري جنباتنا، ويصبُّ في روح العليل جراح، قد زاد من ثقل الفجيعة عالمٌ لا يسوى في عين النبيه جناح!

4- حكايا القدس:

دعينا نرتشف من ذا المعين دعينا، سكرةُ العشاقِ تغشاها الظنونُ، مابال قلبي في الهوى متنقِّلًا، بين الحسان: قبابِها وأمينة، فأدير طرفي بالمحاسن كلِّها، صفراء غرَّتها تسرُّ الناظرين، أروي لحاظَ الوجد من جنباتها، وألثمُ الوجناتِ منها بالعيون، صهبا القبابِ منيةَ العشاقِ هل لدروب وصلك مسلكٌ يُرضينا!

أمَّ البنين توسَّدي عينَ الرضا، رفقًا بكهلٍ جاوز الستين، وعقالُ رأسي وشيبي والطوى، يلهج بحبِّك راسخًا ومكينا، لكنْ هوايَ في الحشا متمكِّنٌ، لا هجر فيه فخلِّنا ودعينا ..!

5- حكايا القدس:

ما الرجلُ إلا رهينُ عزمته وصنيعُ همَّته: تشططُ به الرؤى وتخلبُ لبَّه الأمانيُّ العراض فلا يجد في ما أطَّ صدره وأثقل فكره مندوحةً من مقاربةٍ يحاذيها التيسير فإفضاءٍ يجابه التسليم = ما دام رجلا، وإلا أُركس على فرش الوجل وزرابيِّ الوهن، لا تؤزُّه الرغائب ولا تشتاقه المعالي، قاعدٌ في خدره على قولةِ .. كُفيت!

أما وللهمةِ معتركوها ، وللعزمة سابروها، وللحظوة آخذوها، وللقمم رجال!

6- حكايا القدس:

وأبلغُ العدلِ الأرضيِّ قصاصٌ يجري على يد صاحب الحقِّ تنوء به خاصرة المعتدي، فيذهل هنيهاتٍ عمَّا أسفرت عنه قرائح بغضائه، ثم يؤوب لما كان منه: طبائعُ ودركات، لتعاجله مُكنةُ الحقِّ بمزيد أذًى يبلغ مأمنه، ويستلب وهم تمكينه، فيُصرع حيث أنشأ يُعلي صروح غلبته = لافكاك؛ جرفٌ من الطغيان هار، لا يهيله ثمةَ إلا من ذاقوا شبهةَ وباله، ثم يذهل هنالك المبطلون !!

7- حكايا القدس:

وكان أن رزقني الله وأسبغ علي من نعمائه: مالًا وولدا، فأُصبح أقلب كفيَّ لا أُحصي لرزقه عددا، وأمسي أمسح على رووس العيال، أسمي هذا وأسلو ذاك، حتى لتخالني لفرط بركة الله التي حلت على مرابعي صفيًّا من أصفيائه سبحانه، اختصني بالنعم فأعطى وأدهش.

ثم إنني أخذت أُحدِّث نفسي بالزيارة الشريفة، حتى لمّا تمَّ لي المراد، وقفلت مع الحجيج راضيا، راودتني تباريح الشوق لثالثهما، وكان من عادة قومي – وللعادات أحكام– تقديس الحجة بزيارة القدس الشريفة والصلاة في مسجدها، فيمَّمت وجهي شطرها مع جماعة من قافلة الحجيج كانت قد بيَّتت النية وأزمعت أمرها ألَّا ترد الديار حتى تنال شرف زيارة أولى القبلتين!

فلمَّا وطئت مرابعها، فتنسَّمت ريحها، وكحَّلت عينيَّ بإثمد صفرائها = حتى وجدت في صدري بردًا، ووقر في قلبي أنني لست بمفارقها وإن جُمعت لي كنوز الأرض، وإن خلت من الصحب و الآل، وإن تمالأ عليَّ إنسُ الأرض وجانها يحولون بيني وبين ما عقدت العزم عليه . وكان أن أتمَّ ربي عليَّ نعماءه بواسطة عقد النعم أن قدَّر لي تيسير أمري، فدخلتها من بابٍ لها مقدَّر، وما أن ولجت بيضتها حتى وجدت في وجوه قاطنيها تباشير الأهل والصحب، وطربت أذني لأصواتٍ صافحتها ليعمر قلبي على إثرها بسلامٍ ما وجدته بين الربع والخلان، فاستبشرت خيرا، وعزمت أمرا. ومضيت لتوي – بعد لين سؤال– إلى دارة حاكمها المولَّى على شؤون رعيتها، وبذلت بين يديه الأسباب والحجج، وأجزلت – لا منة– أرجو القبول، فتفكّر هنيهة احتبس لها الهواء في صدري، ثمَّ إنَّه راجع دفاتره وأمعن، وأنا كطائرٍ بينه وبين سدرته لفظةُ : أجل.

فلمَّا تمَّ له مراده من فحصٍ وتدقيق أزَّت له مراجل صدري خشيةً، حتى رفع إليَّ وجهًا بشوشًا باسما، مؤهِّلًا مُسهِّلا، فزفرت زفرةً خشيت معها لفظ فؤادي من مكمنه، وعببت هواء الرضا وقد غشيتني السكينة ترفعني عن أرضي درجات، فلا أجد لقدمي على أرض المارِّين أثرا!

واستقدمتُ الأهل والولد، وأقبلت قوافل خير الله تسعى إلى الأرض التي أسرت روحي وأعتقتها في آن، واتخذتُ من ابنة السماء وطنا : تحفُّني البركات وولدي ونسلي إلى يوم يبعثون، فكانت صدقتي عليهم جارية، وكانت صدقتها – هي– عليَّ، وتمام الاصطفاء والرضا!